عرض دراسة لقصيدة: "الظل الظليل" في مدح النبي صلى الله عليه وسلم للشاعر آدم يونس الهوساري

An Analytical and Critical Study of Adam Ynus Al-Hausari's *"Al-Ẓill al-Ẓalīl"* in Eulogising the Prophet Muhammad PBUH

By
Isa Muhammad Mustapha
Department of Arabic Studies
University of Maiduguri

&
Saleh Harun Tom
Department of Arabic and Islamic Studies
Mohammed Goni College of Legal and Islamic Studies, Maiduguri

Abstract

This study presents an analytical and critical reading of the poem "Al-Ẓill al-Ẓalīl" composed by Adam Yunus Al-Hausari in praise of the Prophet Muhammad (peace be upon him). The paper explores the concept and historical development of Prophetic praise poetry, followed by a concise biography of the poet and an overview of his scholarly and poetic background. It then examines the poem's thematic structure, ideas, emotional sincerity, stylistic features, imagery, and musical elements, including meter and rhyme. The analysis reveals that the poem is distinguished by clarity of language, artistic coherence, strong rhythm, and deep spiritual devotion. The study highlights the poet's contribution to revitalizing Prophetic praise poetry within the contemporary local Arabic literary tradition of Maiduguri.

Keywords: *Prophetic Praise Poetry; Arabic Poetry; Adam Yunus Al-Hausari; Literary Analysis; Islamic Literature; Maiduguri*

المستخلص

يتناول هذا البحث عرضًا وتحليلًا لقصيدة *(الظلّ الظليل)* في مدح النبي صلى الله عليه وسلم للشاعر آدم يونس الهوساري، من خلال مقاربة أدبية فنية تستجلي خصائص المديح النبوي في السياق المحلي المعاصر بمدينة ميدغري. بدأ الباحثان بتعريف المديح النبوي وتطوره عبر العصور، ثم قدّما ترجمة وافية للشاعر وحياته العلمية وشاعريته، قبل الانتقال إلى تحليل القصيدة من حيث الأفكار، وصدق العاطفة، والأسلوب، والخيال، والموسيقى الشعرية. وقد كشفت الدراسة عن تميز القصيدة بجمال الصياغة، ووضوح الألفاظ، وقوة الإيقاع، وعمق الانتماء الروحي، مما يؤكد إسهام الشاعر في إحياء فن المديح النبوي المعاصر.

كلمات مفتاحية: المديح النبوي؛ الشعر العربي؛ آدم يونس الهوساري؛ التحليل الأدبي؛ الخصائص الفنية؛ الموسيقى الشعرية؛ الأدب الإسلامي؛ ميدغري

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلَّمه ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أفضل الخلق عرباً وعجماً وأزكاهم حسباً ونسباً، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأئمة الراشدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فلقد نال المديح النبوي نصيبا وافرا من بين الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء فهو يعتبر لون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع الذي لا يصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص وتفان في حب ذات الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين.

ظهر المديح النبوي في المشرق العربي مبكراً مع ولادته صلى الله عليه وسلم، وذلك منذ حادثة الفيل سنة 571م، ثم انتشر بعد ذلك مع انطلاق الدعوة الإسلامية وشعر الفتوحات الإسلامية، إلى أن ارتبط بالشعر الصوفي مع الشريف الرضي وابن الفارض، ولكن المدح النبوي لم ينتعش ويزدهر ويترك بصماته إلا مع الشعراء المتأخرين، وخاصة مع الشاعر الإمام البوصيري في القرن السابع الهجري، ولا يُنسى في هذا المضمار الشعراء المغاربة والأندلسيين الذين لهم باع كبير في المديح النبوي الشريف، وهكذا استمر الشعراء في عرض المدائح النبوية إلى أن ظهر الشعراء الشباب في هذه البلاد حيث كانوا ينظمون قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والثناء عليه تقربا لله عز وجل وتعبدا وإشباعا للجانب الروحي في حياتهم، ولذلك اختار الباحثان أن يكتبا عن هذا النوع من الشعر العربي لأهميته في الدراسة الأدبية وقيمته اللغوية.

فها هو الشاعر آدم يونس من مواليد ميدغري نشأ وترعرع فيها، وهو من أولئك الشباب الذين أسهموا في هذا الميدان بمدينة ميدغري في القرن الحادي والعشرين. وقد تصدى الباحثان لدراسة قصيدة بعنوان "الظل الظليل" من ديوانه المسمى بـ"التحفة الربيعية في مدح فخر الإنسانية" وهو ديوان مخطوط قرضه الشاعر خلال شهر واحد وهو شهر ربيع الأول بحيث يكتب في كل يوم قصيدة واحدة، وذلك عام 1443هجرية الموافق 2021ميلادية. وتحتوي هذه المقالة على النقاط التالية:

- التعريف بالمديح النبوي
- ترجمة الشاعر
- عرض القصيدة
- افكار القصيدة
- الشرح الإجمالي للقصيدة
- الخصائص الفنية للقصيدة
- الخاتمة واهم النتائج
- المصادر والمراجع

التعريف بالمديح النبوي وتطوره عبر العصور ونماذج منه:

المديح النبوي من الفنون الشعرية التي أذاعها التصوف الإسلامي فهو لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع الذي يتناول جناب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يصدر إلا عن قلوب مفعمة بالحب والصدق والإخلاص[1]. وذكر الدكتور جميل حمداوي، المديح النبوي بأنه: هو ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي صلى الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخَلقية والخُلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره وذكر معجزاته، ونظم سيرته والإشادة بغزواته والصلاة عليه تعظيماً وتقديراً[2]. ومن المعاني المديح النبوي الإستغاثة به صلى الله عليه وسلم والتضرع إلى الله بجاهه في كشف الغمه ونيل الفرج وطلب الهداية والعلم، وعرض الشكاوي التي تعانيها الأمة الإسلامية اليه صلى الله عليه وسلم وذلك توسلا بمقامه الرفيع عنه الله تعالى.

ترجمة الشاعر آدم يونس الهوساري:

هو آدم بن يونس بن عيسى الهوساري الميدغري[3] التجاني، أخٌ لِلشيخ عيسى "مَيْ عشرينية" وابن خالة السيّد صالح بَرَدي الهوساري، أصله من حكومة (غركو) المحلية التابعة لولاية كانو، واسم أمّه رقيّة بنت عيسى المولودة في مدينة ميدغري[4].

وُلد في منطقة "هوساري" التابعة لمدينة ميدغري عاصمة ولاية برنو نيجيريا وذلك يوم السبت 5 صفر 1401هـ المُوافق 13 ديسمبر1980م.

نشأته:

نشأ في هوساري وترعرع في بيت والده مالم يونس عيسى التجاني أحد تلاميذ الشيخ أبي بكر أبا غوني، وقد اعتنى به ورباه تربية حسنة وعلمه الآداب الإسلامية، فكان منذ صغره متدينا ومجتهدا معروفا بالأدب محبا للعلم ومجالسه[5].

حياته العلميّة:

تَردّد آدم يونس إلى حلقات العلم في مَسْقَط رأسه ميدغري منذ نعومة أظفاره، فدرس فيها الكتب الفقهية واللغوية، منها كتاب الأخضري، والعشماوي، والمقدّمة العزّية، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وكتاب العسكري، ومصباح السالك وجزء من مختصر الخليل في الفقه. وتعليم المتعلّم، وروح الأدب في الآداب، والنحو الواضح من الجزء الأول إلى السادس، وجُزء من ألفيّة ابن مالك والبلاغة الواضحة وجزء من مقامات الحريري في اللغة[6].

وأوّل مدرسة نظامية التحق بها آدم هي معهد الشيخ أحمد أبي الفتح الإبتدائي، حيث درس فيه من 1989م إلى 1994م، ثم التحق بكلية محمد غوني للشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بمدينة ميدغري آن ذاك حيث حصل على الشهادة الثانويّة عام 2000م. ثم التحق بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نفس الكلية حيث نال شهادة الدبلوم في اللغة العربية والهوسا والدراسات الإسلامية عام 2003م. وفي سنة 2004م وجد القبول في جامعة ميدغري، في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، حيث حصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية سنة 2008م. وفي عام 2014/2013م وجد القبول في نفس الجامعة حيث درس اللغة العربية وحصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية عام 2017م[7].

إنتاجاته:

ومن إنتاجاته: المُنْجِدة في نظم المرشدة (منظومة مخطوطة في علم التوحيد) ونَيْلُ المُنى في الدعاء بأسما الله الحسنى (أدعية مختارة من الكتاب والسنة وأدعية الصالحين المناسبة بأسما الله الحسنى) مخطوط. والدُّرَّةُ البيضا في مدح خير الأنبياء (قصيدة طويلة مُفَصّلة إلى سبعة عشر فصلًا) مطبوعة عام 2018م. ورَياحينُ أهلِ الغَرام في مدح خير الأنام صلى الله عليه وسلم (ديوان مخطوط)عام 2019م. والنفحات الربيعية في مدح خير البرية (ديوان مخطوط) عام 2020م. والتحفة الربيعية في مدح فخر الإنسانية صلى الله عليه وسلم (ديوان مخطوط) عام 2021م، وغيرها[8].

شيوخه:

من الشيوخ الذين أخذ عنهم العلوم منهم ما يلي:

أخذ مبادئ العلوم الدينية والعربية من معلمه مالم خامس، حيث تعلم عنه القرآن الكريم والتجويد، ثم واصل دراسته عند كثير من علماء ميدغري من أمثال الشيخ المرحوم محمد سعد انغمدو، حيث سمع عنه تفسير القرآن الكريم، وعمه الشيخ عيسى مي عشرينية، درس عنده الأربعين النووية، وكتاب رياض الصالحين، وكتاب تنبيه الغافين، وغيرها من الكتب التي سمعها عنه عندما كان يلقي دروسه في مسجد زاويته وغيرهم[9].

شاعريّته:

بدأ الشاعر قرض الشعر في السادسة والعشرين من عمره، إذ أنّه ولد في عام 1980م وبدأت قريحته بإنتاج بنات أفكارها في سنة 2006م. وكان في ذلك الوقت طالباً بجامعة ميدغري يدرس اللغة العربية، وأما أول قصيدة قالها آدم يونس فهي ميميته التي كتبها في وصف قرية اللغة العربية انغالا، ميدغري، في واحد وخمسين بيتاً. قرضها أثناء دراسته هناك، وهو في السنة الثالثة من الدراسة في مستوى الليسانس، ومطلعها:

فَبِسْمكَ يا رحمانُ أرْحَمُ راحِمِ ** وحمدٍ وشكرٍ يا إلهَ العَوالِمِ
صلاةٌ وتسليمٌ على من أُحبّه ** محمّدِنا والصحب أهلِ المكارم

وقال فيها يُعاتب الحكومة:

لماذا بَنَوْا في الغابِ دارَ عُلومنا ** تُعَايِشُنا في الدار بَعْضُ البَهائِم؟
فهل لُغَةُ المختار ليست مُرادَهُمْ ** فَحُبِّي لها فوق الدُّنَى والدراهم[10]

فمنذ ذلك الوقت أتيحت له فرصة ليضع قدميه في هذا المجال، فجادت قريحته بشعر لا يستهان به، ورغم أنّ الشاعر يعتبر هذه القصيدة أوّل إنتاجاته الشعرية، فقد قام ببعض المحاولات قبيل سفره إلى قرية اللغة العربية حيث أنه كتب قصيدة لامية يتغزّل فيها بفتاة تسمّى خديجة، مطلعها:

خَدِيجةٌ تِلكَ البنتُ تُحسِنُ حالُها ** وإن نَطقَتْ نُطقاً يُناسِبْ فعالُها[11]

لم يعتبر الشاعر هذه القصيدة أوّل قصيدة له لأنها لم تستقم إلا بعد تكلّف، وقد وقع في قوافيها عيوب الشعر، أوّلا ظنّ أن هاء الوصل في القصيدة هي الرويّ، فلما أراها أستاذه صالح بَرَدِ نبّهه إلى ذلك، فصحّحها، واختار اللام رويّا لها، وأراه مرة ثانية، فإذا هو واقع في الإيطاء، فصحّحه أيضا وبذلك استقامت القصيدة. وعَلاوة على هذا فإنّ القصيدة لم تكن مطبوعة ولا منشورة آنَ ذاك. وفي قرية اللغة العربية انغالا رزق الشاعر موهبة شعرية حيث أتاحت له فرصة ليضع قدمه اليمنى في هذا المجال الواسع، فجادت قريحته بشعر لا يستهان به.

لم يسلك أدم يونس منهج القدماء في افتتاح القصيدة بالبكاء على الأطلال وذكر النساء والأحبة، بل كان يفتتح معظم قصائده بالخوض في الموضوع مباشرة، وتارة يفتتح القصيدة بالحمدلة والصلصلة كما في القصيدة الواردة في الصفحة السابقة، وطورا بالحكم، وتارة بعتاب أهل اللهو، وتارة أخرى بتعليل نفسه عن همومه وأحزانه، وعن مفقوده، ثم يتسلّل إلى موضوعه. ويختم قصائده بالدعاء والتوسّل والصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم، قلّما تجد قصيدة من قصائده غير مختومة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على نمط الشعراء المتصوفين كالشيخ إبراهيم انياس، وشرف الدين البوصيري أو أصحاب المنظومات الإسلامية كالقرطبي وابن مالك، ولا غرو إذا كانت خواتم أشعاره كذلك، فهو من أتباع الصوفية ومقدّم في الطريقة التجانية ومن مُريدي الشيخ أحمد أبي الفتح اليْرْوَاويّ، ومن قرّاء دواوين الشيخ إبراهيم انياس الذي كان فَحْلًا كبيراً في قرض الشعر العربي الإسلامي، وهذا هو أسلوبه في دواوينه الستّ وأكثر أشعاره.

كان آدم يونس شاعرًا مُكثرًا منذ بدايته قرضَ الشعر، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن قصيدته الأولى؛ الميمية المذكورة قبل قليل، كتب عشرين بيتا منها في موقف واحد، ولم يتوقّف من كتابتها حتى وصلت إلى واحد وخمسين بيتا. وقد طرق الشاعر أكثر أغراض الشعر العربي القديمة والحديثة من مدح ورثاء ووصف وغيرها، لكن أكثر شعره في المديح النبوي، وقد مدح شيوخه ورثى بعضهم.

بين يدي القصيدة

فالقصيدة همزية وهي من بحر البسيط، وموضوعها مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وعدد أبياتها 20 بيتا، وهي بعنوان:- (الظل الظليل). والعنوان وحده يوحي بالسكينة والطمأنينةوالراحة، فالمراد بالظل الظليل: هو المأوى من لهيب الشمس، والمقصود هنا هو النبي صلى الله عليه وسلمالذي أظل الإنسانية بالرحمة والهدى والنور.

مناسبة وعرض القصيدة

قرضها الشاعر في مناسبة شهر ربيع الأول وذلك في اليوم الأول منه، عام ١٤٤٣هـ الموافق ٢٠٢١/١٠/08م. يقول في مطلعها

حُبّي ومَدْحي وإنْشادي وإنْشائي ** لِمُخْرِجِ الناسِ مِنْ حُلْكٍ لِأَضْواءِ[14]
قد جاء نورًا مُبينا هادِيًا سَنَدًا ** ورَحْمَةً لِلْورى حَلّتْ بِآلاءِ
محمّدٌ سيّدُ الأكْوان قاطِبَةً ** ظِلٌّ ظليلٌ خِضَمٌّ[15] عَيْنُ سَرّاء
ماحي الضلالةِ والإشْراك ليس له ** في خُلْقه الدَّهْرَ مِنْ شِبهٍ وأَكْفاء
حُلْوُ الكلام جميلُ البِشْرِ مَجْلِسُهُ ** كَرَوْضَةٍ مِن جِنان الخُلْدِ غَنّاءِ
بَحْرُ العَطاءِ يَرُدُّ السائلين بِما ** يَرْجونه دون إقْلال[16] وإكْداء[17]
يُعْطي عَطاء الذي ما خافَ من عَدَمٍ ** فعنده كالبخيلِ الحاتِمُ الطّائي
كَهْفُ السعادة مَنْ وافاه نال مُنًى ** مُعين من غَرِقوا في بحر ضَرّاء
شمس الحقيقة كنزُ الخير سيّدنا ** مَنْجى الخلائق في دُنْيًا وأُخْراء
طَلَّقْتُ نَوْمي ثَلاثًا من مدائحه ** وقد تَزَوَّجْتُ قِرْطاسًا لأنشائي
آلَيْتُ أمْلَؤهُ من دُرِّ مِدْحَتِه ** مُزَيَّنًا بِصفاتِ البدر كالماء
أسابِقُ الوُرْقَ في لَيلي فأسْبِقُها ** شَدْوًا ونارُ هَوى الماحي بأحْشائي
لأنَّه قد سَباني[12] مُصْبِيًا[13] خَلَدي ** فما لِيَ الرَّوْحُ[18] إلا سَرْدُ إطرائي[19]
إنّي أروحُ وأغْدو مادِحًا سَندي ** وفيه إصْباح أعْضائي وإمْسائي
عَلّي أنال من الممدوح قُرْبَتَهُ ** وَوُدَّهُ مَعَ تَبْشيرٍ وإرضاء
لَيْتي أرانِيَ في سِلْك الذين أَتَوْا ** بالمدح فاستَقْبَل الهادي بِإصْغاء
حَقًّا سأحْظى بِمَرجُوّي ومَسْألتي ** لِمْ لا وما رَدَّ سُؤْلًا دون إعْطاء
يا سَيِّدَ الخَلْق عبد الله مُرْسَله ** جُدْ لي وحَقِّقْ رَجائي واقْضِ حَوْجائي
أنت الذي فُقْتَ أجْواد الورى كَرَمًا ** والجُودُ خَصْلَتُكُمْ جُدْ لي بِزَهْراء
صلى وسلم ربي دائما أبدا ** عليك والصحب والآل الأعزاء

شرح القصيدة:

من البيت الأول إلى الثالث افتتح الشاعر القصيدة بمدح النبي صلى االه عليه وسلم وتعظيمه وتمجيده، فهو النور والهادي والسند للبشرية الذي أضاء بنوره بنوره ظلمات الجهل وسيدا للخلق أجمعين. ففي البيتين الرابع والخامس، يصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه الماحي الذي محى الشرك والضلال من الأرض، ولا مثيل له في الخلق والجمال، فهو كمال البشرية خَلقا وخُلقا. ومن البيت السادس إلى التاسع يشبه النبي صلى الله عليه وسلم ببحر لا ينضب عطاؤه يفيض على السائلين والضعفاء دون منٍّ أو خوف من الفقر، لأنه صلى الله عليه وسلم واثق بربه الكريم، فمن نال من كفه شرف العطاء نال السعادة في الدنيا والآخرة، فهو شمس الحقيقة التي تشرق في قلوب المؤمنين.

ومن البيت العاشر إلى الثاني عشر هنا يظهر الشاعر إخلاصه للممدوح فيقول: إنه ترك مدح غير النبي صلى الله عليه وسلم تركا لا رجعة فيه ليخلص في مدحه صلى الله عليه وسلم وحده وذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى، فاستبشر قلبه بالطمأنينة واراحة والإيمان. ومن البيت الثالث عشر إلى السابع عشر ففي هذه الأبيات يعبر الشاعر عن إعجابه بشخص عظيم حيث أصبح أسيرا له فمال قلبه إليه إذ هو نور حياته وهدايته، فيمدحه في الصبح والعشي لعله ينال القرب والود والبشارة والرضا طالبا أن يكون في سلك الذين فازوا بالمدح حتى استقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم بالرضا والقبول، حقا إنه سيحظى بالقبول وذلك لكونه صلى الله عليه وسلم لا يرد سائلا إلا وأعطاه سؤله. ومن البيت الثامن عشر إى آخر القصيدة ينتقل الشاعر أيضا إلى مدح النبي صلى الله عليه وسم فيصفه بأنه سيد الخلق الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين متوسلا به تبارك وتعالى بالجود وتحقيق الأمل والرجاء فقضاء الحوائج ، ثم يختم القصيدة بالصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه في جو من الخشوع والمحبة.

بناء القصيدة من حيث المطلع

أن مطلع القصيدة شيق وجميل، حيث تجعل االنفس المستمعة تتشوق إلى متابعة القصيدة، وهذا هو الذي جعل كثير من الشعراء يحسنون مطالع قصائدهم بحيث يشتاقها المستمعون. وحقيقة المطلع أو الإفتتاحية على حسب تعريف ابن الأثير: "هو أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود منها "[20].

ومن المطالع والمقدمات التي شاعت قديما هي ابتداء القصائد بذكرالديار والبكاء على الأطلال والنسيب أو ذكر شيء من ووصف الآثار وغير ذلك.

فالشاعر آدم يونس الهوساري لا يفتتح قصائده بذكر الديار أو بالغزل الصريح، كما يفعل بعض الشعراء، وإنما يفتتح قصائده على أسلوب الشعراء المحليين في افتتاحية القصائد، فأحيانا يفتتح القصيدة بالدعاء وتعظيم الحق جل وعلا أو ذكر ما خص الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم من الصفات الحميدة والأخلاق الرفيعة التي أكرمه الله تعالى وفضله بها على سائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ثم يشرع في الغرض الأساسي للقصيدة. وفي الغالب يفتتح قصائده بالبسملة والحمدلة والصلصلة ثم يشرع في الغرض الذي يرمي إليه، ولكنه في هذه القصيدة يفتتح بالدخول في الموضوع مباشرة، حيث يقول في مطلعها:

حُبّي ومَدْحي وإنْشادي وإنْشائي ** لِمُخْرِجِ الناسِ مِنْ حُلْكٍ لِأَضْواء[21]
قد جاء نورًا مُبينا هادِيًا سَنَدًا ** ورَحْمَةً لِلْورى حَلّتْ بِآلاءِ

وهكذا شأن الشاعر في افتتاحية قصائده في المديح النبوي، والجدير بالذكر أن قصائد هذا الديوان كلها عصرية الأسلوب سالكة منحى التجديد الذي هو دأب الكثير من الشعراء المحليين.

حسن التخلص:

وهو الجزء الأساسي الذي يحتوي على هيكل القصيدة ومضمونها، ومعناه على حسب ما نقله ابن الأثير: "هو أن يأخذ مؤلف الكلام معنى من المعاني فبينما هو فيه إذا أخذ معنىً آخر غيره وجعل الأول سببا إليه – فيكون بعضه آخذا برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه، ثم يستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً[22]. فإذا تأمل القارئ في القصيدة بالفحص والنظر الدقيق يجد أنه أحسن التخلص وأجاده، حيث تخلص من المطلع إلى المضمون بلطف ورقة ومن ذلك قوله:

يا سَيِّدَ الخَلْق عبد الله مُرْسَله ** جُدْ لي وحَقِّقْ رَجائي واقْضِ حَوْجائي
أنت الذي فُقْتَ أجْواد الورى كَرَمًا ** والجُودُ خَصْلَتُكُمْ جُدْ لي بِزَهْراء

وهكذا كان جو القصائده فإنها لم تخرج من هذا النطاق، لذلك إذا تأمل القارئ النظر في ديوان الشاعر يدرك أن العناوين لها ربط وثيق بمضامين القصائد.

حسن الختام :

هو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذبا حسناً لتبقى لذته في الإسماع. أو هو مراعاة حسن آخر بيت القصيدة من حيث اللفظ وجمال المعنى[23].

وقد أجاد الشاعر حسن الإنتهاء كما أجاد حسن المطلع، فإنه غالبا يختم قصائده بالدعاء مع الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، فهذه الإختتامات تترك أثراً واضحا في قلب القارئ ويبقى هذا الأثر إلى الأبد. فالشاعر يختتم قصائده بالدعاء والصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه، فتأمل قوله في ختام هذه القصيدة المشتملة على الأدعية التالة:

صلى وسلم ربي دائما أبدا ** عليك والصحب والآل الأعزاء

فالقارئ لقصائد الشاعر في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، يجد أن مطالعها ملائمة لمضامينها لما يستقبل من المعاني الملائمة للمقال كما جاء في هذه القصائد من حسن الختام، وهكذا في جميع قصائد الديوان.

الألفاظ والتراكيب

إن اللفظ والتركيب مرتبطان كارتباط الروح والجسم، فاللفظ بمنزلة الجسم والمعنى أو التراكيب بمثابة الروح يضعف ويقوى بقوته. وقال العتابى في كتاب "الصناعتين": "الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب فإذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيّرت المعنى كما لو حول رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رجل لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية[24]. وهذا يظهر للباحثان أن للفظ والمعنى علاقة وطيدة في الكلام، وإن علاقتهما علاقة ضرورية شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان، ومن العلماء من يرى أن الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة، ولكنها طبقا لإرادة إلهية[25].

وعليه، فقد حرص الشاعر على اختيار اللفظ العذب الرقيق لقصائده، وأجاد لتأدية المعنى، ومن خلال هذا التصفح الألفاظ ومعانى قصائد الشاعر في هذا الديوان بوضح أنّ لغة المدح فيها سهولة ولين وفصاحة وتلائم بالمعنى وهكذا.

وهكذا تدور ألفاظ الشاعر على هذ النمط المذكور من السهولة والدقة والوضوح، دون تعقيد ولا ركاكة فيها، وهذ لا يعني كل من قال في هذا الجناب لا يكون فيه تعقيد أو ركاكة، بل هذه تعد خاصية من خصوصيات بعض الشعراء، وذلك لكون القصائد كلها قيلت في جناب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولهذا جاءت الألفاظ واضحة الألفاظ والمعاني.

الأفكار:

الفكرة مأخوذة من تفكّر، ورجل فكيّر أي كثير التفكير[26]، مالفكرة هي اعمال الخاطر في الشيء وتجمع على أفكار. والفكرة كما يراها علي بن الحسين: "مرآة تري المؤمن سيئاته فينقطع عنها، وحسناته فيكثر منها، فلا تقع مقرعة التفريع, ولا تنظر عيون العواقب شزرا أليه"[27]، ويقال في المثل: الفكرة مرآة صافية[28].

وأن القصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لذلك كانت ذات أفكار رائعة وقيم أخلاقية، وكل من قرأوها يدرك أنه متأثر بالثقافة الإسلامية فقها وعقيدة وأدبا، لأن قصائده من هذا الجانب مليئة بذكر صفات النبي وأخلاقه الحميدة صلى الله عليه وسلم كما يُشاهد في هذه القصيدة الي تحمل صفات الجود والكرم وقول الحق بالبشارة والإنذار وعدم عصيانه في كل ما جاء به.

وتتسم أفكاره أيضا بصدق العاطفة والدقة في التعبير، ولا تجد قصيدة من قصائده إلا وترد فيها أفكاراً عدة متسلسلة مع كونها في غرض واحد وهو ذكر صفاته وأخلاقه صلى الله عليه وسلم، وبيان مدى حبه وتعظيمه والتشوق لرؤيته، ثم الدعاء والتوسل بذاته صلى الله عليه وسلم.

صدق العاطفة:

العاطفة: مأخوذة من عطف عطفا وعطوفا، أي مال وانحنىويقال عطفت الظبية أي مالت عنقها وحنت إلى ناحية، ويقال عطفت الناقة على ولدها أي حنت عليه ودرت لبنها[29].

العاطفة عنصر هام من عناصر الأدب العربي، فيها يعبر الأديب عن شعوره وإحساسه، ويقوم بالتأثير على الآخرين وذلك بإثارة شعورهم وإحساسهم نحوه، فالأدب بدون عاطفة لا يشعر قارئه بالجمال والروعة لأنه هو الذي يكون بمثابة الروح للعمل الأدبي الذي يحيا به الأديب ويشاركه فيه عالمه الذي يحيط به في هذا العمل الأدبي.

فالعاطفة كما أورد سيد قطب: يجب أن تتسم بسمة الصدق التي بها نتأكد من صحة صدور هذا العمل من شعور الأديب وإحساسه الحقيقي بهذه التجربة، ولا يقصد بصدق العاطفة الصدق الواقعي أو الأخلاقي الذي نستكشف به على كون الشاعر أو الأديب قد صدق فيما يعبر عنه أم لا، وإنما يقصد به صدق الشعور والإحساس بالحياة[30].

وتعد العاطفة من أهم عناصر الأدب حيث إنّ النص الجامد الذي لا يحرك مشاعر القارئ يبعث في نفسه شيئاً من الملل، فتحريك المشاعر في نفس القارئ يجعله يتفاعل مع النص بشكل أفضل، والأبلغ من وصف العاطفة نفسها وصف التقلب بين العواطف والحال التي يخرج بها المرء من عاطفة لأخرى[31].

في هذه القصيدة حيث تتجلى عاطفته في تأكيد الإنشاء الطلبي في الحب والشوق والتقرب والتشفع تالنبي صلى الله عليه وسلم:

ومعنى ذلك بكل صراحة أن الشاعر صادق العاطفة ومخلص الاعتقاد في مدحه للنبي صلى لله عليه وسلم وأصحابه ، وتتجلى العاطفة الصادقة والإعتقاد الخالص.

الأسلوب:

الأسلوب هو الطريقة المتبعة[32]، وعند بعضهم هو القالب الذي يفرغ الصور التركيبية واللفظية للكلام[33]. والأسلوب هو الطريق الذي يسلكه الشاعر أو الأديب للتعبير عما يجول في ذهنه من أفكار ومعانٍ، وما يختلج في قلبه من مشاعر وأحاسيس[34]. ويرى الدكتور عدنان على أن " الأسلوب عنصر من العناصر الفنية الستة للأدب، وهو الطريقة التي يختارها الأديب ليجمع بها دور العناصر الفنية الأخرى أو الوحدات ويربطها على نحو يجمع الجمال الفني من كل عنصر أو وحدة جمعاً يضاعف الجمال ويقوى أثره[35].

للتعبير عن المعاني والتصوير الشعري أساليب مختلفة، ولكل أديب طريقته وأسلوبه الخاص في التعبير عن المعنى الذي يجول في خاطره، وإذا ألقى القارئ نظرة خاصة في ألفاظ الشاعر يجدها سلسة في أساليبها سهلة في عباراتها متسمة بالجودة وجمال الفكر، توصل المعنى إلى النفس من أقرب الطرق المؤدية إليه.

الخيال:

والخيال عنصر هام من عناصر العمل الأدبي، ويشير الدكتور شوقي ضيف بأن الخيال، هو القوة التي تجسد المعاني والأشياء والأشخاص، وتمثلها أمام الناس حتى تثير المشاعر وتهيج الأحاسيس، وهو أساس في الأدب فإذا تجردت قطعة منه فلا تعد أدباً[36].

فالخيال ملكة يختلف بعضها عن بعض في امتلاكها قوة وضعفاً فإن ملكة الخيال غامضة لا يمكن تعريفها ولكن يمكن معرفة تأثرها، وكلما كانت العاطفة قوية احتاجت إلى خيال قوي يعينها، وضعف أحدهما يؤثر تأثيراً كبيراً في ضعف الآخر[37].

قد حاول الشاعر في استخدام أنواع الخيال في قصيدة، حيث يشير للقارئ والباحث التعبير عن عاطفته الصادقة تجاه ممدوحهصلى الله عليه وسلم.

فنوع الخيال في هذه القصيدة: خيال بسيط حيث يخيل الشاعر شوقه وحبه نحو ممدوحه فشبهه بالشمس والقمر في آن واحد، وهذا النوع من الخيال يسمى خيال بسيط.

فالخيال البسيط هو الذي يكون أساسه بالمدركات النظري لأن الشاعر تصور منظرا يدرك لنظر وحس،فهذا خيال بسيط لأن عناصر الصورة عناصر تدرك بالنظر، وعمل الخيال هنا هو جمع وتوليف تلك المدركات[38].

الخيال هنا خيال الإبتكار، وهو الذي يخلق العناصر التي تكتسب من التجارب صورة جديدة لا تنافي الحياة المعقود كما يخلقها الشاعر في البيت السابق مستعينا بتجاربه ومشاهدته وقد وصف الشاعر ممدوحه بالخلق الكريم والحلم والصبر، أثناء أية صدمة.

ويمكن القول هنا أن قيمة الخيال في القصيدة ودورها الكبير فيما يتميز به من حسن وقبح، بحسب ارتباطه بوجدانه وفكره وثقافته وعلومه وشعوره.

الموسيقى الشعرية (الأوزان والقوافي)

فالموسيقى الشعرية تقوم على تقسيم الجمل إلى مقاطع صوتية تختلف طولاً وقصراً أو إلى وحدات صوتية معينة على نسق معين بغض النظر عن بداية الكلمات ونهايتها، وتؤثر الموسيقى تأثيرا فاعلا في التشكيل الجمالي للنصِّ الشعري، حيث تتضافر الأصوات اللغوية، وفق نظام خاص في النسق النصي لتحدث إيقاعا وصونا يعبر عن مختزنات الحالة الشعورية، ويكون محبباً إلى النفس الإنسانية[39].

فالموسيقي الخارجية الظاهرة فإن مصدرها (الوزن والقافية) ينشأ عنهما الإنسجام الذي هو أساس الجمال الموسيقي، وأطلق عليه العروضيون إسم (البحر) ويتالف البحر الشعري من مجموعة أجزاء تختلف باختلاف حركاتها وسكناتها، وتسمى هذه بالتفعيلات، وتتركب التفعيلات من وتد وسبب أو وتد وسببين[40].

الوزن: هو عبارة عن القوالب الموسيقية التي يتألف كل واحد منها من مجموعة من النغمات التي سماها العروضيون "بالتفعيلية" وهي تتكرر في كل بيت من الأبيات بطريقة منظمة وتتم على إيقاع متكرر في آخر البيت يتمثل في القافية[41].

القافية: هي كل ما يلزم الشاعر إعادته في أواخر سائر الأبيات من حرف وحركة. هذا هو المفهوم من تسميتها (قافية) لأن الشاعر يقفوها أي يتبعها فتكون قافية بمعى مقفوة كما قالوا عيشة راضية بمعنى مرضية، أو تكون على بابها كأنها تقفو ما قبلها[42].

وعلى هذا المنوال بنى الشاعر قصيدته على الأوزان والقوافي الشعرية الخليلية. فالقصيدة التي تناولها الباحثان بالدراسة من بحر البسيط.

بحر البسيط:

تكون بحر البسيط من تكرير ثماني تفعيلات، أربع في صدر البيت وأربع مثلها في عجزه، فيحتوي على التفعيلات المكررة ثمانية أجزاء وهي[43]:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعل ** مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعل

القصيدة الأولى:

يقول الشاعر في مطلع القصيدة:

حُبّي ومَدْحي وإنْشادي وإنْشائي ** لِمُخْرِجِ الناسِ مِنْ حُلْكٍ لِأَضْواءِ

تقطيعه:

حببي ومد حي وإن شاديوإن شائي لمخرجن ناس من حلك ل أضواء

/.//-0//0/0/-.//./-0 //0/0/ ././/-0//0/0/-.//./-0 //0/0/

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعل مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعل

بعروضة تامة مخبونة[44]، وضربها مخبون مثلها، وقافيتها متداركة[45] ورويها[46] حرف الراء من قوله (أضواء) فتسمى القصيدة همزية.

الخاتمة

فمن خلال هذه الدراسة اتضح أن الشاعر آدم يونس الهوساري قد رزق موهبة وملكة شعرية حتى استطاع بها ان يقرض الشعر في شتى المناسبات وخصوصا المدح النبوي الذي برع فيه وأنجز فيه الكثير من القصائد، فقد تناول فيه الباحث نبذة تاريخية عن حياة االشاعر آدم يونس الهوساري ابتداء من نسبه ومولده ونشأته، ثم ذكر المراحل التعليمية التي مر بها ومشايخه الذين تتلمذ عندهم وتلامذته، ثم شاعريته، ثم قام الباحثان بعرض القصيدة دراستها دراسة ادبية تحليلية في جوانب مختلفة كالخصائص الفنية من حيث الشكل والمضمون ثم الجانب العروضي والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث

- أن الشاعر آدم يونس من مواليد ميدغري وديوانه المسمى بالتحفة الربيعية في مدح فخر الإنسانية كله منصب في المديح النبوي.
- وإن قصيدة الشاعر قد احتوت على مواضيع مدحية مختلفة في الجناب النبوي.
- أن القصيدة تميزت بالخصائص والظواهر الفنية والجمالية والموسيقى الشعرية.

المصادروالمراجع والهوامش

1. زكي مبارك، **المدائح النبوية في الأدب العربي** ، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1935م ص: 17
2. موقع إلكتروني، بتاريخ:2024/01/02www.almakjuoob.com
3. الهوساري: نسبة إلى (هوسارِ) الحارة التي ولد فيها وترعرع بها ، والميدغري: نسبة إلى مدينة ميدغريِ، عاصمة ولاية برنو، نيجيريا
4. مقابلة شفهية مع الشاعر في هوساري تمنزل اخيه الأكبر المرحوم مالم عيسى مي عشرينية وذلك يوم الأحد 2022/01/22م مساء بعد صلاة العصر مباشرة
5. المقابلة السلبقة نفسها ونفس التاريخ
6. المقابلة نفسها ونفس التاريخ
7. المقابلة نفسها ونفس التاريخ
8. المقابلة نفسها ونفس التاريخ
9. ترجمة الشاعر آدم يونس مذكرة مطبوعة بالآلة الإلكترونية متوفرة في مكتب الشاعر والباحث
10. قطعة من مخطوطة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، طبعت بالآلة توجد في مكتب الشاعر الخاصة
11. القصيدة مطبوعة ومتوفرة في مكتب الشاعر والباحث
12. أسرني فصرت أسيره
13. من أصبى أي مميل قلبي إليه
14. الظلمات
15. بحر عظيم
16. اعطاء القليل
17. البخل
18. الراحة
19. مدحي
20. ابن الأثير، ضياء الدين، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، سنة 1381هـ، ص96.
21. الظلمات
22. ابن الأثير **المثل الثائر** ، مرجع سبق ذكره ص: 244
23. النويري، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب : **نهاية الإرب في فنون الأدب** ج7 وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1999م ص: 135
24. أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى، **كتاب الصناعتين**، محقق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ط/1، 1902/1371، ص: 176.
25. أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ط/ 5 1998، علاة الكتب، ص: 19
26. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، الجزء الأول، ص305
27. العشماوي، محمد زاكي (الدكتور)، **قضايا النقد الأدبي المعاصر**، الهيئة المصرية العامة للكتُاب، دت، ص227
28. العشماوي، المرجع السابق ، ص345
29. العشماوي، المرجع السابق نفسه، ص347

30. أحمد أحمد بدوي (الدكتور) **اسس النقد الأدبي عند العرب**، مطبعة نهضة مصر عام 1996م ص67
31. تكر محمد إنوا، **ظواهر الحضارة والعمران فى شعر بَوْتِشِي الأدبي فى القرن العشرين الميلادي:** دراسة تحليلية فنية، ورقة مقدّمت إلى ندوة الدراسات العليا جامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا. 2009 م
32. الشريف محمد مهدي، **معجم مصطلحات علم الشعر العربي**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت سنة 2000م/ 1424هـ، ص: 70.
33. نفس المرجع ونفس الصفحة.
34. الموقع الإلكتروني، **الموسوعة الحرة**، الزمن: 2018/09/24 الساعة 8:06 مساءً
35. الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته. ص: 125
36. شوقي ضيف، **فن الأدب والنقد**، (د.ط) دار المعارف، القاهرة، ص:14.
37. الرشيدة عبد الجليل، **فن المديح لدى الشاعر محمد البشير بيري**، دراسة أدبية تحليلية بحث مقدم إلى كلية الدراسات العليا قسم الدين والفلسفة، جامعة جوس،لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها. سنة 2016م، ص: 104
38. عبد العزيز عتيق، **النقد الأدبي** ، مطبعة دار الفكر، بيروت. لبنان 2006م ص،119عبدالعزيز عتيق، **علم العروض والقافية**، مكتبة دار الآفاق العربية، القاهرة ، عام 2004م، ص: 11
39. المرجع السابق نفسه، ص: 12
40. الشنتري، أبوبكر محمد عبدالله **الكافي في علم القوافي** ، دار الطلال للنشر والتوزيع القاهرة عام 2000م ص: 33
41. المرجع نفسه والصفحة
42. وهبة، مأمون عبد الحليم (الدكتور)، **العروض والقافية بين التراث والتجديد**، ص 67
43. الخبن هو حذف الثاني من (فاعل) فتصير (فعلن)
44. المتدارك : هو أن يتوالى بين ساكنها حرفان متحركان أو أكثر
45. الروي : هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة فتنسب إليه